

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَ قُلْ لَا آسَأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾

قصص الانبياء دروس لنا

خطب المناسبات

اللقاء الحادي عشر من تفسير سورة الأنعام - شرح الآيات 83 - 90

2023-05-27

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً مُتَقَبَّلاً يا رب العالمين. أيها الكرام، هذا لقاؤنا الحادي عشر من لقاءات سورة الأنعام، ونحن مع الآية الثالثة والثمانين من السورة، وهي قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (83)

ملخص ماسبق من آيات:

ما سبق ذلك من آيات كان الحديث عن إبراهيم وعن أبيه المشرك آزر، وكيف حاوره إبراهيم - عليه السلام - وقال له:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۚ إِنِّي أَرَىٰ أَرْسَلَكَ فِي صَلَاتِي مُبِينٌ (74)

ثم كان الحديث عن رؤية إبراهيم - عليه السلام - لملكوت السماوات والأرض، ولما جنَّ عليه الليل ورأى كوكباً، ثم رأى الشمس بازغة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَمَّا رَأَوْا السَّمْنَ تَارَعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُعْقِمُ إِلَهِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78)

إلى أن قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِلَهِي وَجْهْتُ لِلَّذِي قَطَرَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ حَقِيقًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (79)

فحاجه قومه، تبادلوا معه الحجة كل يدلي بحجته، فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۚ قَالَ أَتُحْجُونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ۚ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (80)

ثم حاجهم في قضية الأمن فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۚ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82)

مجموع ذلك قال تعالى: (وَيْلَكَ) أي كل ما سبق من هذه الحجج، هذه الحجة جاءت من الله تعالى (وَيْلَكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ).

معاني الحجة:

الحجة كلمة مثلثة أي تأتي: حجة، وجعة، الخجة: هي البرهان، فإن كان معك حجة قوية فإنك تستطيع أن تجادل بها، معك برهان، دليل؛ فهو حجة، وكانوا في الشام يسألون معك حجة البيت؟ أي ما تحتج به على أن هذا البيت لك، الذي هو في الأردن الكوشان، بالشام طابو، حجة البيت حجتك على أنك تملك هذا البيت، وأما الحجة بالكسر: فهي السنة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَ إِحْدَى بَنَاتِي هُنَيْنٍ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي تَمْنِيًا جَجًا ۚ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (27)

(سورة القصص)

فكل سنة تسمى حجة، وأما الحجة بالفتح: فهو مرة من الحج، فيقال: حججت حجة واحدة أو حجتين في عمري، فعندنا حجة وهي المرة الواحدة من الحج، وحجة بالضم وهو الدليل والبرهان الذي أحاج به الناس، وعندنا حجة بالكسر وهي السنة الواحدة، (وَبَلَّغْ حُجَّتَنَا) هذه الحجة من أين جاء بها إبراهيم؟ من الله (عَاتِيْنَهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ).

نسبة الخير والشر عند الناس:



المؤمن ينسب الفضل لصاحب الفضل

والمؤمن دائماً إذا أتاه الله فضلاً فإنه ينسبه لصاحب الفضل ولا ينسبه لنفسه، فإذا وفق في امتحان يقول: هذا توفيق الله آتاني إياه، وإذا أُعطي قوة في الكلام يقول: هذا من توفيق ربي، فالمؤمن لا ينسب الفضل إليه، لا يقول: هذا لي، الناس عموماً اليوم إذا فعلوا شيئاً أو أصابهم فضل ينسبونه إلى أنفسهم، فيقول لك: هذه التجارة نجحت لأنني تاجر أباً عن جد، نحن هذا عملنا، وإذا تفوق في الامتحان يقول لك: لأنني درست، قلت لكم: يجب أن تدرسوا بهذه الطريقة، هذا الذي يحقق النجاح، لكنه إذا وقع في الفشل ينسب فشله لله تعالى، فيقول: هذا قدر الله بذلتنا ما علينا، هما كلاهما قدر من الله، لكن لماذا تنسب الفشل إلى القدر وتنسب النجاح إلى نفسك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَيُّهَا تَكُونُوا يُذَكِّرُكُمْ لَمُوتٍ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ فَمَالِ هَؤُلَاءِ لِقَوْمٍ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (78)

(سورة النساء)

فالإنسان يعلم أن كلاً من الله، لكن ينسب الشر لنفسه وينسب الخير لخالقه، وهذا معنى قوله - صلى الله عليه وسلم -:

{لَيْتَكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ..... }
(صحيح مسلم عن علي بن أبي طالب)

لا يُنسب الشر إلى الله، فلذلك في سورة الجن:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَنَّا لَا تَدْرِي أَسْرُّ أَرِيدَ يَمْنٍ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (10)

(سورة الجن)

هذا الأدب مع الله تعالى، لذلك قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلِ لِلَّهِ عِلْمٌ ۖ لَّمَّا كُنْتُمْ تُؤْتُونَ ۖ لَكُمْ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ ۖ لَكُمْ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ يَدُكَ ۖ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26)

(سورة آل عمران)

وهو كل شيء بيد الله الخير والبشر، لكن نحن لا ننسب الشر إلى خالقنا وإنما ننسبه لخطأ من أنفسنا، قدّر الله علينا الشر، أما الخير فهو محض فضل من الله (وَبَلَّغْنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ) أي تغلب على قومه بحجة ألهمه الله تعالى إياها، ما ثمن أن يأتيك الله حجة أو يأتيك فضل أو يأتينا خير؟ أن تحسن الصلة به، هي ليست عطاء-هي عطاء محض من الله- لكن ليست بلا سبب وإنما بسبب يقدمه العبد، فإبراهيم لما آمن بالله واستقام على أمره واتصل به أتاه الحجة التي يتغلب بها على قومه، وهذه الآية (وَبَلَّغْنَا) إن كانت (بَلَّغْنَا) كما قلنا تعود إلى ما سبق، البعض قال: تعود إلى حجة الأيمن: لأنه أقام عليهم الحجة يوم قال لهم: (فَأَيُّ الْقَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)، هل أنتم آمنون مع أصنامكم أم أنا آمن مع ربي الواحد الأحد؟! لكن (وَبَلَّغْنَا) عامة ترجع إلى كل ما سبق، هذا يؤكد كل ما ذكرناه في اللقاء السابق أن إبراهيم -عليه السلام- لم يكن شاكاً بوجود الله، لذلك يقول- صلى الله عليه وسلم :-

{ تَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِن إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنِ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) [البقرة: 260] }

{ لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) [البقرة: 260] }

(أخرجه البخاري عن أبي هريرة)

أي إذا كان هناك شك فنحن أولى أن نشك، كيف يشك إبراهيم -عليه السلام- وهو أبو الأنبياء، وإنما كان يصنع ذلك لإقامة الحجة على قومه، ينظر فيقول لهم: "هذا ربي"، هل يُعقل أن يكون هذا ربي؟ فيقول: (هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ) أقام الحجة عليهم، لأنني لا أعبد من دون الله تعالى خلقاً من خلقه يأفل ويغيب، ولا يملك ضراً ولا نفعاً، وإنما أعبد الواحد الأحد.

قانون رفع الدرجات عند الله:



الله تعالى يرفع الدرجات بالإيمان والعمل

(وَبَلَّغْنَا حُجَّتَنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ تَرْفَعُ دَرَجَتٍ ۖ مِّن تَشَاءُ) كما رفعنا إبراهيم على قومه بإيمانه واستقامته وعمله الصالح، وأعطيناه حجة قوية أقامها على قومه فإنا (تَرْفَعُ دَرَجَتٍ ۖ مِّن تَشَاءُ) هذه قراءة حفص، وفي قراءات أخرى (تَرْفَعُ دَرَجَتٍ مِّن تَشَاءُ) أي نرفع بالإضافة نرفع درجات من نشاء من الناس، وهنا (تَرْفَعُ دَرَجَتٍ) والدرجة هي الرتبة والمرتبة، (مِّن تَشَاءُ) نرفعه درجات عندنا، كيف يرفع الله الدرجات؟ الله تعالى يرفع الدرجات بالإيمان والعمل، نفسير القرآن بالقرآن، وهذا أعظم أنواع التفسير، فنقرأ قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَسَسَّخُوا فِي الْمَجَالِسِ فَاسْجُدُوا يُفَسِّحَ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ نَسْرُوا فَانْشَرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْثَرًا ۖ لِّلْعِلْمِ دَرَجَاتٍ ۖ وَلِلَّهِ يَمَّا تَعْمَلُونَ حَبِيرٌ (11)

(سورة المجادلة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ كَانَ يُرِيدُ لِعِزَّتِهِ لِقَاءَ رَبِّهِ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ لِسَيِّئَاتِهِمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ (10)

(سورة فاطر)

إذاً يرفعك الله درجات بإيمانك (الجانب العقدي)، وعلمك الذي تكتسبه بعد هذا الإيمان، وعملك الصالح الذي تعمله ابتغاء وجه الله، أما الناس يرفعون بعضهم درجات بمقاييس قد لا تتناسب مع القرآن أبداً، بعض الناس يرفعون بعضهم درجات من خلال الأموال، بعضهم يرفعون الدرجات من خلال نوع السيارة، بعضهم من خلال نمرة السيارة فقط، يرفعه درجة يقول لك: هذا يظهر نمرة سيارته خمس سعات، سعرها 200 ألف مثلاً، 800 ألف، يبدو مهماً، فيرفعون بعضهم درجات بمقاييس ما أنزل الله بها من سلطان، عند الله إيمان، علم، عمل فقط، وفي آية ثالثة حتى يكتمل المشهد:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)

(سورة الحجرات)

إذاً رفع الدرجات له ميزان، قال تعالى: (تَرْفَعُ دَرَجَةً مِنْ تَسَاءً)، فإذا فهم الإنسان الآية كما يحب من غير قواعد "يا أخي ربنا أن يرفعه برفعه" كلام صحيح لكن طريقة عرضك له غير صحيحة، وكأنك تُوهم المتلقي بأن الله يرفع من يشاء درجات دون قواعد هكذا، لا، لا يوجد هكذا، أنت لا تقبل في الدنيا من معلم فاضل صاحب خلق ودين أن يفشل طالباً على آخر فيرفعه درجة من غير أن يكون هناك سبب من هذا الطالب، فكيف تقبلها على الخالق؟! (تَرْفَعُ دَرَجَةً مِنْ تَسَاءً) من خلال القوانين التي وضعناها، بعلمهم، باستقامتهم، بفضلهم على أقوامهم من خلال ما أتاهم الله من الحجج، (إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) لو أن إنساناً أراد أن يفهمها (تَرْفَعُ دَرَجَةً مِنْ تَسَاءً) هكذا من غير أي سبب من العبد، قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) يصوّب فهمه، ربك صاحب حكمة وصاحب علم فعندما يرفع الدرجات يرفعها بحكمته وعلمه، بحكمته بأنه يضع كل شيء في موضعه المناسب، ويعلمه الذي وسع كل شيء بحيث يعلم كل إنسان بما يستحق من درجة عنده (إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ).

ذكر الأنبياء الذين صبروا وأدوا في الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84)

(سورة الأنعام)

أي لإبراهيم (إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)



الهمة عطاء مطلق

(وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ) الهمة ليست حقاً، أنا اليوم إذا لم يكن لك حق عليّ أبداً، أنت فقط مجرد صديق وأحببت أن أعطيك ساعة فهذه هبة، أما إذا كنت قدمت لي شيئاً فتجد أنك صاحب حق عندي، تقول: أعطني، الهمة مطلق عطاء، ليس فيها أي مقابل، فالله تعالى عندما يقول: (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ) أي أعطيناك من غير منة، ليس له أي شيء، وكل العباد ليس لهم عند الله حق، إلا أن الله تعالى أوجب لهم حقاً، قال:

{ يا معاذ، أندري ما حَقُّ اللَّهِ على العبادِ، وما حَقُّ العبادِ على الله؟ قُلْتُ: الله ورسوله أعلم، قال: حَقُّ الله على العبادِ أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئاً، وحَقُّ العبادِ على الله ألا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ به شيئاً }

(أخرجه البخاري، ومسلم باختلاف يسير عن معاذ بن جبل)

سماء حقاً، أما ربنا- جلَّ جلاله- هو خالقنا ورازقنا ونحن لم نقدم له، ما عندنا ما نقدمه أصلاً إلا أن تأتمر بما أمر، فيوجب لنا حقوقاً عنده فذلك قال: **(وَوَهَبْنَا لَهُ) من غير أي مقابل، (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ) إسحاق الابن المباشر لإبراهيم -عليه السلام- ويعقوب الحفيد، ويعقوب هو إسرائيل، فإسحاق ابن ويعقوب حفيد، قال: (وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ) البعض قال: (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ) تعود على الكلام الأول؛ أي على إبراهيم، لكن هنا نجد بعد قليل سيقول: "لوطاً"، ولوط ليس من ذرية إبراهيم -عليه السلام-، لكن من قال: (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ) من ذرية إبراهيم أول بان لوطاً وإن لم يكن من ذريته لكنه هُدي على منهجه فأصبح من ذريته، نوح ابنه قال:**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 قَالَ يُنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْكٰفِرِينَ (46)

(سورة هود)

وهو من ذرية نوح لكن ربنا -جلَّ جلاله- ما قبل أن يسميه ابناً له لأنه كافر، لكن الأولى أن نقول: **(وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ) أي من ذرية نوح، فكل من سيأتي بعده هو من ذريته حتى لوط، كلهم من ذرية نوح من أبناء نوح ومن بعدهم.**

(وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ) داود نبي من أنبياء بني إسرائيل وهو من قتل جالوت كما ورد في سورة البقرة، ثم سليمان هو ابن داود-عليهما السلام- (مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ) وأيوب هو النبي الصابر الذي امتدحه ربنا فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وَخُذْ يَدَكَ مِنْهُ فَاصْبِرْ إِنَّهُ وَعْدُهُ صَائِرًا نَعْمَ لَعَبْدٌ إِنَّهُ أَوَّابٌ (44)

(سورة ص)



نحن على خطى الأنبياء

أيوب عُرف بصبره، **(وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ)** ويوسف هو ابن يعقوب -عليه السلام- بن إسحاق بن إبراهيم، **(وَمُوسَى)** نبي بني إسرائيل الأكثر شهرة وهو الرسول الذي جاء معه التوراة، **(وَهَارُونَ)** أخو موسى -عليه السلام- وقيل قد تُوفي قبله بسنة، **(وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)** هذه الكاف كاف التشبيه **(وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)** أي كما جزيناهم نجزي المحسنين، هذا الختام **(وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)** يحول القصة التي يروونها لنا ربنا هنا إلى قانون عام، حتى لا يتوهم متوهم بأن هذا الأمر خاص بالأنبياء بتجدت الله عن الأنبياء نحن ليس لنا علاقة، "نحن بشر يا أخي لسنا أنبياء"، لكن نحن على خطى الأنبياء فما أعطاه الله للأنبياء -إلا النبوة لأنها وهب من الله تعالى- عطاء يمكن أن نأخذه عندما نقدم الأسباب التي قدمها الأنبياء، لذلك قال- صلى الله عليه وسلم -:

{ أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ }

(صحيح مسلم عن أبي هريرة)

الأمر واحد، أمرهم بالصدق وأمرنا بالصدق، فلا تقل: أنا لست نبياً، طبعاً لست نبياً، ولكن لا تقلها على أساس أنني غير مُطالب، لا أنت مُطالب كما طلبوا، فقال: **(وَكَذَلِكَ تَجْرِي لِمُخْسِيَيْنِ)**، وهذا يشبه قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَذَا لَلُنُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87)
فَلَسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِنَّ أَكْبَرُكُمْ لَخَلْقُكُمْ (88)

(سورة الأنبياء)

كما نجيهم تنجي أي إنسان يفعل فعله فيتوب إلى الله ويستغفر ويعرف خطأه فيرجع إلى ربه فينجيه الله، **(وَكَذَلِكَ تَجْرِي لِمُخْسِيَيْنِ)** أي كما جازينا هؤلاء بإحسانهم نجزي كل محسن بإحسانه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ (85)

(سورة الأنعام)

ويحيى هو ابن زكريا، وعيسى وهو ابن مريم -عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه- **(وَالْيَاسَ)** واليأس هو نبي من أنبياء بني إسرائيل أيضاً، وهو من نسل هارون أخي موسى، **(كُلُّ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ)** كل واحد من هؤلاء هو من الصالحين، والصالح ضد الفساد فالصالح هو الذي يلتزم منهج الله تعالى فيصالح ولا يفسد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَانُوا مِن قَبْلِهِ صَالِحِينَ (86)

(سورة الأنعام)

يتابع الله تعالى ذكر هؤلاء الأنبياء العظماء **(وَإِسْمَاعِيلَ)** وهو ابن إبراهيم -عليه السلام - وهو جد نبينا محمد- صلى الله عليه وسلم -، **(وَإِسْحَاقَ)** واليسع هو نبي أيضاً من أنبياء بني إسرائيل الذي قال لقومه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَنذَرُونِي أَوْ أُبْرِئْكُمْ أَوْ أَمْسِكْكُمْ أَجْزَاءً مِّنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِمَا أَنذَرَ الْبَنِيَّانَ (125) اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (126)

(سورة الصافات)



يجمع الأنبياء جميعاً رابط الصبر على أقوامهم

كان هناك صنم اسمه بعل، فجاء لقومه ونهاهم عن عبادة الصنم، وقال بعضهم: هو داود -عليه السلام- لكن ليس صحيحاً لأن التمييز يقتضي المفارقة، ورد ذكر داود وورد ذكره، فكل واحد هو غير الآخر -والله أعلم-، **(وَيُونُسَ)** -عليه السلام- الذي لبث في بطن الحوت **(وَلُوطًا)** نبي الله لوط -عليه السلام- الذي جاء إلى قومه وأتوا الفاحشة التي ما سبقهم بها أحد من العالمين، وكل هؤلاء الأنبياء صبروا وأدوا في الله، يجمع الأنبياء جميعاً رابط الصبر على أقوامهم، وكأن الله تعالى عندما يعددهم لنبيه - صلى الله عليه وسلم - يجعلهم تسلياً لنفسه - صلى الله عليه وسلم - مما يلاقيه من قومه من جحود، فهؤلاء جميعاً الأنبياء الذين هم سلفك في الدعوة إلى الله لاقوا مالفوا، وصبروا وتحملوا الأذى من أقوامهم، وعانوا ما عانوا لكن الله -عزَّ وجلَّ - أخلد ذكرهم وجعلهم منارة للحق والخير.

(وَكَلَّا قَمَلْنَا عَلَى لُغْلَمِينَ) (وَكَلَّا): أي وكل واحد من هؤلاء فضله على أهل زمانه بالنبوة والرسالة، العالمين أي الجن والأنس والعوالم كلها، فضله الله على أهل زمانه، فالنبي هو أفضل أهل زمانه، ونبينا - صلى الله عليه وسلم - هو أفضل الخلق جميعاً وأفضل الأنبياء جميعاً، فهنا التفصيل تفضيل على أهل الزمان **(وَكَلَّا قَمَلْنَا عَلَى لُغْلَمِينَ)** في زمانه، هؤلاء الأنبياء هنا الذين ذُكروا في هذه السورة في الأنعام متتاليين هم 18 نبياً -عليهم صلوات الله وسلامه- والذين ذُكروا في القرآن كله هم 25 نبياً، وهناك رسل لم يقصصهم الله تعالى علينا، وجمعهم شاعر بشعر جميل فقال:

(فِي تِلْكَ حُجَّتْنَا) في سورة الأنعام التي فيها قوله: **(وَتِلْكَ حُجَّتُنَا)**، ثم بدأ **(ءَاتَيْنَاهَا إِنْزَاهِيمَ)** وعددهم فقال:

الإيمان برسول وأنبياء الله تعالى:



نحن مأمورون أن نؤمن بالأنبياء والرسل جميعاً

صلى الله عليهم جميعاً، فهؤلاء 25 نبياً -سلام الله تعالى عليهم- ونحن بذكر الصالحين نتعطر المجالس، فكيف بذكر الأنبياء؟! فنحن مأمورون في كتابنا وفي ديننا أن نؤمن بالأنبياء والرسل جميعاً، وهذه مزية لأهل الإسلام، فالمسلم لا ينكر نبياً من أنبياء الله فهو في حالة توازن مع نفسه، فهو إن قيل: عيسى أمامه، قال: عليه أفضل الصلاة والسلام، وإن قيل: موسى، قال: عليه الصلاة والسلام، وإن قيل: محمد -صلى الله عليه وسلم-، قال: عليه الصلاة والسلام، فهو يؤمن بأنبياء الله تعالى جميعاً حتى الذين جاؤوا إلى أقوامهم بمن جاء إلى بني إسرائيل، فهو متوازن مع نفسه ومع الناس الذين حوله، اليوم الذين يطلبون من المسلمين أن يتعاشوا مع الآخر -كما نسمع-، أنت ابدأ أولاً بالآخر الذي يرفض ديني ويرفض نبيي، فانا لا أرفض إلا تحريف دينه، أنا خلافي ليس مع دينه الأصلي ولا مع نبيه، فانا أوؤمن بموسى وبالتوراة، وأؤمن بعيسى وبالإنجيل، لكن لما حُرِفَ الإنجيل والتوراة وهذا معروف وواضح لا يحتاج إلى أدلة لأنه مُشاهد، وليس مع العين أين؟ موجود، فإذا أنا ليس عندي مشكلة مع الآخر، الآخر عنده مشكلة معي عندما لا يؤمن بنبيي، فأطلب منه أولاً أن يتعاش هو! لأنني متعاش حكماً بحكم أنني لا أنكر الأنبياء بل أكفر إن أنكرت نبوة أحدهم، لو أن إنساناً قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، ثم قال: عيسى ليس نبياً من أنبياء الله، وأنا لا أوؤمن بعيسى ولا بالإنجيل الأصلي، فهذا لا يؤمن؛ لأنه أنقص ركناً من أركان الإيمان وهو أن نؤمن بأنبياء الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ءَامَنَ لِرَّسُولٍ يَمَّا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۖ وَلِلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ ۖ وَكُتِبَ لَهُمْ سِرُّهُ ۖ لَا تَعْرُقُ بِئْسَ أَحَدٌ مِّنْ رُّسُلِهِ ۖ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَاتُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285)

(سورة البقرة)

في الإيمان لا نفرق، لكن نعتقد بأن محمداً -صلى الله عليه وسلم- أفضل الخلق، لكن لا نفرق في الإيمان بين واحد وآخر، فأقول مثلاً: أنا إيماني بمحمد -صلى الله عليه وسلم- 100%، سيدنا عيسى 90%، لا يستقيم إيمان مع التفريق، الإيمان إيمان، نحن نؤمن بجميع أنبياء الله تعالى ورسله، فليس عندنا مشكلة، مشكلتنا مع التحريف، مع التغيير، مع التبديل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ لَّذِينَ هَآؤُوا يُخَرِّفُونَ لَكَلِمٍ عَنْ مَّوَاصِيهِمْ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَلَا سَمْعَ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَلَا وَعْيًا لِّئَلَّا بِآلْسِنِهِمْ وَطَعْنًا فِي الَّذِينَ وَلَوْ
أَتَتْهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَلَا سَمْعَ وَلَا نَطَرًا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (46)

(سورة النساء)

وليست مع النص الأصلي ولا مع أنبياء الله تعالى ورسله، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَنِبْنَاهُمْ وَهَدَيْتَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (87)

(سورة الأنعام)

أي آباء هؤلاء الأنبياء المذكورين من إبراهيم إلى لوط كما في هذه الآيات، (وَذُرِّيَّتِهِمْ): أي الأصول والفروع، (وَإِخْوَانِهِمْ): الأفقي، أخذنا الخط العامودي أصول وفروع، وإخوانهم، قال: (وَمِنْ) للتبعية، إبراهيم أبوه ليس من آبائهم الذين هدى، ونوح ابنه ليس من ذرياتهم الذين اهتدوا، وهذا يؤكد الاختيار ويؤكد أن ديننا هو دين الموضوعية -إن صح التعبير - بمعنى أنه ليس هناك شيء اسمه النسب المطلق، النسب شيء جميل وجيد لكنه عندما يكون تاجاً على الإيمان، لكن من غير إيمان النسب صفر، فأبو لهب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1)

(سورة المسد)

وبلال:

{ كَانَ عُمَرُ يَقُولُ: أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا، وَأَعْتَقَ سَيِّدَتَنَا. بَعْنِي بَلَاءً. }

(أخرجه البخاري عن جابر بن عبد الله)

وهو من الحبشة، فالفضية ليست في الأنساب، " لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم ":

{ ما من رجلٍ يسلك طريقاً، يطلُبُ فيه عِلْماً إِلَّا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طريقَ الجنة، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ تَسْبُهُ }

(أخرجه أبو داود، والدارمي، وابن حبان عن أبي هريرة)

فلذلك قال: (وَمِنْ ءَابَائِهِمْ) وليس كل أب لنبي مشمولاً بهذه الآية (وَدُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ) جميعاً؛ الأنبياء ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم وإخوانهم (وَجَنَّتُهُمْ وَهَدَيْتُهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).

الفرق بين الاجتناء، والاصطفاء، والاختيار:

عندنا الاجتناء، عندنا الاصطفاء، وعندنا الاختيار:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَخَتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَنُتَّهِلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
لِلْسَفَهَاءِ مِنَّا إِن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (155)
(سورة الأعراف)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ
إِنَّ لِلَّهِ مِطْلَقَةً عَلَيْكُمْ وَرَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَةً مَّن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (247)
(سورة البقرة)



الاختيار مجرد وجود خبرية بين شخص وآخر هنا (وَجَنَّتُهُمْ وَهَدَيْتُهُمْ)، هي مترادفات لكن كل واحدة أتت من جذر معين يفيد شيئاً إضافياً بحيث أصبح الاستعمال القرآني لهذه الألفاظ فيه بلاغة عجيبة، فالاختيار: مجرد وجود خبرية بين شخص وآخر، فإنا أختار فلاناً أو أختار مجموعة من الناس بناء على صفة فيهم غير موجودة في الطرف الآخر فأقول: اخترته لوجود صفة خبرية فيه غير موجودة في الثاني، الاصطفاء: مأخوذ من الصفوة، من الصفاء والصفوة، فإنا اصطفينا فلاناً أي اخترناه لكن لوجود شيء خاص فيه، ليس موازنة مع شيء آخر؛ اصطفاء، الاجتناء: فيه معنى الجمع؛ الجباية، جبيت الماء بالحوض أي جمعته، فيجتني الله تعالى الأنبياء أي يجمعهم على شيء واحد موجود فيهم، النتيجة كله اختيار، لكن هذا التعدد في الألفاظ كل واحد يعطي مدلولاً إضافياً مع الاختيار (وَجَنَّتُهُمْ) أي جمعنا ما فيهم من الخصال الحميدة واجتبتناهم واخترناهم بناء عليها، كما قلنا الأنبياء كلهم عندهم صبر فاجتباهم الله بصبرهم، عندهم حلم على أقوامهم فاجتباهم بحلمهم، عندهم خلو من الأمراض المنفرة كما يقول أهل العلم فاجتبتناهم بذلك، فهي مجموعة أشياء جعلتهم من المجتبتين الأخيار (وَجَنَّتُهُمْ وَهَدَيْتُهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) والصراط المستقيم هو الطريق الذي شرعه الله تعالى.

أنواع الهداية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ اللَّهُمَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (88)

والهداية من الله تعالى تأتي على طريقين أو على نوعين: **هداية الدلالة، وهداية التوفيق**، فلما يقول ربنا -جلّ جلاله-:

وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا لَعْنَى عَلَى الْهَدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صُيُفُهُمْ لَعْدَابٍ لَّهُمْ فِيهَا كَانُوا يُكْسَبُونَ (17)

(سورة فصلت)

(سورة فصلت)

فهذه هداية الدلالة؛ أي بينا لهم طريق الهداية فسلوكوا طريق الصلاة، فهداهم الله فلم يهتدوا، ولما يقول:

وَالَّذِينَ هُمْ رَادُّهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (17)

(سورة محمد)

(سورة محمد)

فهذه هداية التوفيق أي هداية الجزاء، هنا هذه هداية الجزاء (ذَلِكَ هُدًى لِّلَّهِ يَهْدِي مَن يَشَاءُ) هداية جزاء فعندما يسلك العبد طريق الهداية الله يهدي الجميع، لكن يهدي من يشاء من عباده ممن سلك طريق الهداية واستجاب.



مع الشرك يبطل ثواب العمل

(وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) حبط العمل أي أبطل ثوابه فمع الشرك يبطل ثواب العمل، أي لو أتى الإنسان بمئة ألف أو مِليون وهو مشرك بالله وتبرع بها بحبب عمله، يأخذ ثوابه في الدنيا رفعة وذكرًا حسنًا وشيبه الله بمضاعفة المال ربما، وبرزقه لأنه ينفق على الفقراء، لكن ما دام هو ليس موحدًا يسلك طريق الشرك فعمله محبط؛ أي ثواب العمل باطل، والله تعالى خاطب نبيه فقال:

وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (65)

(سورة الزمر)

(سورة الزمر)

فكل إنسان يشترك بالله تعالى يحيط عمله، لا يوجد أي قيمة للعمل مع الشريك، فالله تعالى مع التوحيد يقبل قليل العمل وكثيره، ومن غير توحيد لا يقبل قليل العمل ولا كثيره أبداً، لذلك نقول: **التوحيد أولاً**، هذا ليس انقاصاً من قيمة العمل أبداً، ليس انقاصاً أي ليس المقصود أن نقول له: وخذ الله ولا تعمل، أبداً، فهو إذا وحد الله فسيعمل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ۖ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (89)

(سورة الأنعام)

ثلاثة أشياء آتاهم الله: الكتاب: صف موسى، التوراة، الإنجيل، زبور داود، الحكم: فهم الكتاب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129)

(سورة البقرة)



النبوة هبة من الله

لذلك وصفت السنة بأنها الحكمة؛ لأن الحكمة هي فهم الكتاب، في اليوم الذي يقول: نحن نأخذ كتاب الله ولا نأخذ سنة رسول الله فقد أخذ الكتاب وترك الحكمة؛ لأن الفهم هو الحكمة أن تفهم النص بشكل صحيح، واليوم نسمع أفهام بعيدة لما تركوا السنة وتركوا أصول الفقه وأصول التفسير واللغة العربية نسمع عجائب وغرائب في تفسير آيات القرآن، أخذوا الكتاب ولم يأخذوا الحكمة، والنبوة: فالنبوة إتياء من الله تعالى وهي عند جماهير أهل السنة ليست كسبياً أي لا يوجد إنسان يجتهد في العبادة فيصبح نبياً، يجتهد فيصبح صالحاً، تقياً، مجتسماً لكن لا يصبح نبياً، النبوة هبة من الله، فأتاهم الله تعالى الكتاب والحكم والنبوة، (فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ) بالكتاب والحكم والنبوة أهل مكة، من هؤلاء؟ أهل مكة، (فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ) هم أهل المدينة الأنصار الذين نصرُوا النبي -صلى الله عليه وسلم-، فحوى الكلام: الله -عز وجل- غني عن العالمين، فنقول: "اللهم استعملنا ولا تستبدلنا"، فإذا كنت استغيت عن القيام بمهمتك فالله تعالى قد وكل قوماً يقومون بهذه المهمة، الله ليس بحاجة فإما أن تقوم بأمر دينك أو أن يستبدلك الله بمن يقوم بأمر دينك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَّنْ يَبْخُلُ ۚ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَخْشَىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ (38)

(سورة محمد)

فالله تعالى يستبدل من يترك حمل الأمانة (فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

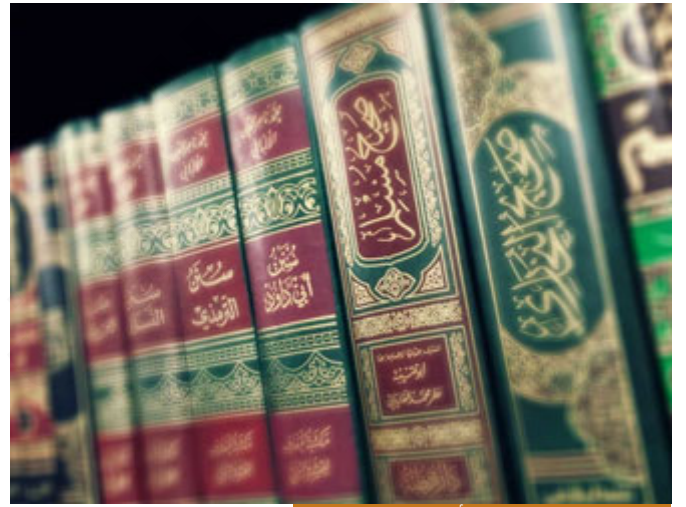
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فِيهِدْنَاهُمْ ۖ فَتَدُهُ ۖ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (90)

(سورة الأنعام)

أولئك الأنبياء ومن ذرياتهم ومن آباءهم، وأيضاً هؤلاء الذين وكلهم الله تعالى بها فحفظوها وقاموا بها، كل هؤلاء هم الذين هداهم الله هداية التوفيق، لما هداهم ابتداءً فاهتدوا، هداهم الله انتهاءً (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فِيهِدْنَاهُمْ ۖ فَتَدُهُ) هذه الهاء هاء السكت ليقترن بكسر الدال: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، اقتد، اقتد بالسكت، حتى لا نقف نقول: فيهداهم اقتد، ثقيلة فعند العرب هاء تسمى هاء السكت يقفون عليها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أَدْرَاكَ مَا هَيْةُ (10) تَارُ حَامِيَّةُ (11)

(سورة الفارعة)



المطلوب ليس الاقتداء بالأشخاص، وإنما بالمنهج
هذه هاء السكت، (فِيهِدْنَاهُمْ ۖ فَتَدُهُ) ثبت في قراءة حفص وصلاً ووقفاً، (فِيهِدْنَاهُمْ ۖ فَتَدُهُ) نفخ أو نصل (فِيهِدْنَاهُمْ ۖ فَتَدُهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ) وفي قراءة غير حفص (فِيهِدْنَاهُمْ ۖ فَتَدُهُ) أو (فِيهِدْنَاهُمْ ۖ فَتَدُهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ) تسقط بالوصل، هذه كلها هي فائدة لغوية متعلقة بهاء السكت (فِيهِدْنَاهُمْ ۖ فَتَدُهُ) أي بطريقهم التي ساروا عليها اقتد، بالمنهج الذي هم عليه، وهذا الجزء من الآية يذكره البعض في الاستدلال على أن المطلوب ليس الاقتداء بالأشخاص وإنما بالمنهج، هو تحصيل حاصل، إذا كان المنهج صحيحاً فنحن نقف بالنبى لأنه على المنهج الصحيح.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولٍ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ ۖ وَالْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (21)

(سورة الأحزاب)

لكن هذه الآية إشارة لطيفة إلى الاقتداء بالمنهج، إذا كان المذكور في مكان آخر غير هذا المكان ليسوا بأنبياء، فيمكن أن نستفيد من هذه الآية أن نقول للإنسان: انتبه، قدوتك ليس فلاناً من الناس، وإنما المنهج الذي يسير عليه فلان من الناس، فإن خالفه هذا العالم أو هذا الشيخ إن خالف المنهج فأنت لست مأموراً بالاقتداء بكل ما يفعل، لكن الأنبياء لأنهم معصومون أصبح الاقتداء بالمنهج اقتداء بهم، والاقتداء بهم اقتداء بالمنهج؛ لأنهم معصومون لا يقع منهم خطأ، (فِيهِدْنَاهُمْ ۖ فَتَدُهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا) من أعظم سمات النبوة ألا يسأل النبي قومه أجراً على هدايتهم لهم، السؤال الأجر يضعف قيمة الدعوة، واليوم العلماء إذا أرادوا الاقتداء بالأنبياء فعليهم ألا يسألوا الناس أموالهم، أنا غني عن مالك أنا أدعوك لله تعالى، لست بحاجة لمالك (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا)، هذا أقدمه لله تعالى (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ) القرآن الكريم والهدى الذي أهديكم به (إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) موعظة وتذكير لكل الناس، أذكركم بالله تعالى خالصاً لوجه الله تعالى من غير ثواب أو أجر منكم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّمَا تُطْعَمُونَ لِرُوحِهِ ۖ لِلَّهِ لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9)

والحمد لله رب العالمين

نور الدين الاسلامي